

فلسفة السجود وأثاره التربوية والنفسية

د. عبد الكريم رحيم الموصي

d.abdulkareem68@gmail.com

فلسفة السجود وآثاره التربوية والنفسية

د. عبد الكريم رحيم المكصوسي

ملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر المنتجبين. وبعد؛

من نافلة القول: إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان وخلقته في أحسن تقويم، وجعله خليفة له في الأرض، والغاية من خلقه هي تحقيق معرفة الله عز وجل، عن طريق عبادته وحده، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات/ ٥٦، فإله تعالى لا يحتاج إلى العبادة من أجل العبادة، وإنما لأجل فوز المطيعين برحمته التي لا تُنال إلا بالطاعة وأفضل مصاديقها هي العبادة، والتي من خلالها ينال العبد أعلى المراتب وأجلها. (الحائري، مقال على النت)

والسجود هو أقرب ما يكون العبد مع ربه، وفيه ما فيه من الروحانيات التي تجعل الإنسان بعيداً عن الماديات، لذا جاء بحثي ليتناول مفهوم السجود وأهميته وفلسفته وآثاره التربوية والنفسية في الجانب الروحي للإنسان.

الكلمات المفتاحية / السجود، آثاره التربوية، النفسية، القرآن الكريم

The philosophy of prostration and its educational and psychological effects

Dr. Abdul Karim Rahim Al-Maksousi

summary

It goes without saying: God Almighty honored man and created him in the best form, and made him his successor on earth, and the purpose of his creation is to achieve knowledge of God Almighty, by worshiping Him alone.

Prostration is the closest thing a servant is to his Lord, and it contains what is in it of spirituality that makes a person far from materialism, so my research came to deal with the concept of prostration, its importance, its philosophy, and its educational and psychological effects on the spiritual aspect of man.

Keywords: prostration, its educational and psychological effects, the Holy Quran

المقدمة:

لعلّ قارئاً يقول ما الفائدة من البحث في موضوع تناولته أقلام الباحثين بالدرس والتفصيل، وقبلها وضّحته الشريعة الإسلامية بصورة مباشرة، وذكرت الكثير من الآيات الدالة على فضل السجود وأهميته، ولكنني ارتأيت أن أكتب في هذا الموضوع لحاجة في نفسي، ولتكون لي تذكرة لنفسي وتبصرة للآخرين، وعسى أن تكون ذخراً لي في يوم فاقتي ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء/ ٨٨ - ٨٩).

لقد اتّبع القرآن الكريم في تربيته لشخصيات الناس وتغيير سلوكهم (أسلوب العمل)، والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة) التي يريد أن يغرّسها في نفوسهم، ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحجّ. فالقيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله وحده، والامتثال لأوامره، والتوجّه الدائم إليه بعبودية تامة، ويعلمه أيضاً الصبر وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس والتحكّم بأهوائها وشهواتها، ويعلمه حبّ الناس، والإحسان إليهم، وينمي في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي. وهذه الخصال الحميدة كلّها تمتاز بها الشخصية السوية الناضجة والمتكاملة.

ولا شك أنّ للسجود آثاره والتربوية والنفسية في حياة الإنسان، فجاء البحث ليسلطّ الضوء على هذه المسائل عبر تقسيمه على مباحث ثلاثة، وتمهيد تناولت فيه أهمية البحث ومشكلته، وجاء المبحث الأول بعنوان: السجود لغةً واصطلاحاً، وتحدّثت في المبحث الثاني عن فضل السجود وأنواعه، أمّا المبحث الثالث فدرست فيه آثار السجود

التربوية والنفسية، وختمت البحث بأهمّ النتائج التي توصلت إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد: أهمية البحث ومشكلته.

أهمية البحث:

يعدّ السجود من أعظم مراتب الخضوع لله سبحانه وتعالى، وللسجود فضائل كثيرة وآثار محمودة ونتائج طيبة تعود بالخير على الساجد نفسه في دنياه وآخرته. وبما أنّ للسجود حالات وأوصاف متعدّدة لذا كانت نتائجه موافقة لحالاته وأوصافه، (فقد يكون طويلاً ومصحوباً بالبكاء والخشية الشديدة من الله عزّ وجلّ، وقد يكون قصيراً وسريعاً).

للسجود لله تذللاً وتخشعاً أثر في وجوه الساجدين، ويعدّ السجود من أهمّ مواضع استجابة الدعاء الصادق، وإظهار حالة الفقر الحقيقي إلى الله الغني القادر على قضاء حاجة العبد.

مشكلة البحث:

إنّ الشفاعة تحتاج إلى مقدّمات أهمّها الاستعانة بالصلاة وتفهم أجزائها والتعايش مع أبعادها التربوية والنفسية. قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة/٤٥). وهذه الاستعانة تكون لأمر شتى، منها: الوصول إلى الشفاعة ومن أهمّ أجزاء الصلاة التي يستعان بها هو السجود. فمن صلّى وأطال سجوده فقد توصل إلى الشفاعة بالصلاة والسجود. فالجانب العلمي والجانب العملي أو السلوكي في حياة الإنسان هو الجانب المعوّل عليه في الحياة. كما جاء في الحديث: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)). (النيسابوري، ١٩٥٥م، ٨٧/٤)، وإيجابيّة العمل وهو ما تستهدفه كلّ المناهج التربويّة في العالم وهو ما تتمحور حوله مقاصد الصلاة بأجزائها المختلفة وكلّ ما لا يؤثر إيجاباً في تغيير التفكير والسلوك الإنساني، فهو يؤثر إلى خلل في أداء الشعائر العباديّة.

المبحث الأول: السجود لغةً واصطلاحاً

- السجود لغةً:

(س ج د) السين والجيم والداد أصلٌ واحدٌ مطَّردٌ يدلُّ على تطامنٍ وذلٍّ. يقال سَجَدَ، إذا تَطَامَنَ. وكلُّ ما ذلَّ فقد سَجَدَ. (ابن فارس، ١٩٧٩، ج ٣/ ١٣٣)، وسَجَدَ: سجوداً خضع وتطامن ووضِعَ جِبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ سَاجِدٌ (ج) سجد وسُجُودٌ والسفينة للريح أطاعتها ومالت بميلها، (سجدت) رجله سجدا انتقخت فهِيَ سَجْدَاءٌ وَهُوَ أَسْجَدُ (ج) سجد، (أسجد) طأطأ رأسه وانحنى يُقَالُ أَسْجَدَ الرَّجُلُ وَأَدَامَ النَّظَرَ إِلَى الشَّيْءِ بِأَجْفَانٍ مَرَضٍ غَضِيضَةٍ، (الساجد) يُقَالُ فَلَانَ سَاجِدًا الْمُنْخَرُ ذَلِيلٌ خَاضِعٌ، (الساجدة) مؤنث الساجد ويُقَالُ عَيْنُ سَاجِدَةٍ فَاتِرَةٌ وَنَخْلَةٌ سَاجِدَةٌ مَائِلَةٌ (ج) سواجد، و(السَّجَادُ) الكثير السُّجُودِ. (السجادة) الطنفسة والبساط الصَّغِيرُ يَصَلَّى عَلَيْهِ وَأَثَرُ السُّجُودِ فِي الْجَبْهَةِ، (المسجد) الْجَبْهَةُ حَيْثُ يَكُونُ نَدْبُ السُّجُودِ (ج) مَسَاجِدُ وَالْمَسَاجِدُ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ الْأَعْضَاءُ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا وَهِيَ الْجَبْهَةُ وَالْأَنْفُ وَالْيَدَانِ وَالرُّكْبَتَانِ وَالْقَدَمَانِ الْمُقَدَّسَاتِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} (الإسراء/ ١) (ج) مَسَاجِدُ. (المسجدة) السجادة . (مصطفى، وآخرون، د.ت، ٤١٦- ٤١٧)، وبعد هذا كله فالسجود هو: التَعَبُّدُ لِلَّهِ بِوَضْعِ الْجَبْهَةِ وَالْأَنْفِ وَالْكَفَّيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ بِصِفَةِ مَخْصُوصَةٍ.

- السجود اصطلاحاً:

جاء في المفردات: (السُّجُودُ أصله: التَّطَامِنُ وَالتَّذَلُّلُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عِبَارَةً عَنِ التَّذَلُّلِ لِلَّهِ وَعِبَادَتِهِ، وَهُوَ عَامٌّ فِي الْإِنْسَانِ، وَالْحَيَوَانَاتِ، وَالْجَمَادَاتِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: سَجُودٌ بِاخْتِيَارٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْإِنْسَانِ، وَبِهِ يَسْتَحَقُّ الثَّوَابَ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم/ ٦٢] ، أي: تَذَلُّوا لَهُ، وَسَجُودٌ تَسْخِيرٌ، وَهُوَ لِلْإِنْسَانِ، وَالْحَيَوَانَاتِ، وَالنَّبَاتِ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ [الرعد/ ١٥] ، وَقَوْلُهُ: يَنْقِيُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجْدًا لِلَّهِ، رَوَى عَنِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: "السُّجُودُ مِنْتَهَى الْعِبَادَةِ مِنْ بَنِي آدَمَ" (الرواندي: ١٤٢٧هـ، ٣٣).

المبحث الثاني/ فضل السجود وأنواعه:

المحور الأول/ فضل السجود:

قلنا: إنّ السجود منتهى العبادة والتذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى، لذلك لا يكون الإنسان عبداً لله عزّ وجلّ إلا في خضوعه لخالقه وتذلل أمامه، ويكون ذلك في حالة السجود، وللسجود فضائل كثيرة وآثاره طيبة ومحمودة تعود بالنفع على الساجد، ولكن ليس كلّ سجود له فضائله وآثاره، فهناك السجود السريع الذي يشبه نقر الغراب، فلا نجد منه أيّ طائل ولا فضائل، فليس للعبد من هذا السجود سوى حركته. (الربيعي، د.ت، ٢٥)، روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى (عليه السلام): أن يا موسى أتدري لِمَ اصطفتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربّ ولمّ ذلك؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه أن: يا موسى إنّي قبّلت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أدلّ لي نفساً منك، يا موسى إنك إذا صلّيت وضعت خدك على التراب أو قال على الأرض) (الكليني، ١٣٦٥ ش، ٢ / ١٢٣).

ومن وصايا النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لأسماءة بن زيد: (يا أسماءة، عليك بطريق الحقّ. إلى أن قال: يا أسماءة، عليك بالسجود، فإنّه أقرب ما يكون العبد من ربّه إذا كان ساجداً، وما من عبد سجد لله سجدة، إلّا كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، وباهى به ملائكته) (النوري، ٤، ١٩٨٧ / ٤٧٥ / ٥٢٠٤ باب ١٨).

وورد عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) أنّه قال: (ولا تستصغروا قليل الآثام، فإنّ القليل يحصى ويرجع إلى الكثير، وأطيلوا السجود فما من عمل أشدّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً؛ لأنّه أمر بالسجود فعصى وهذا أمر بالسجود فأطاع فنجا) (الشيخ الصدوق، ٢٠١٦، ٦١٦). ومثله عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم). (ينظر: الشيخ الصدوق، ١٩٦٦، ٣٤٠ / ٢).

المحور الثاني/ أنواع السجود:

والسجود أنواع، منها: سجود الصلاة، وسجود السهو، وسجود التلاوة، وسجود الشكر (الربيعي، ١٤٢٠ هـ، ٣١).

١ - سجود الصلاة: يعدّ سجود الصلاة ركناً أساسياً ومهماً من أركانها، سواء كانت الصلاة واجبة أم مستحبّة.

٢ - سجود السهو: ومجموعهما سجدتان يأتي بها المؤمن من أجل جبر ما سها عنه في صلاته من الركوع أو السجود.

عن عمار بن موسى الساباطي قال: سألت أبا عبدالله الصادق (عليه السلام) عن السهو، ما يجب فيه سجدتا السهو؟ فقال (عليه السلام): «إذا أردت أن تقعد فقم، وإذا أردت أن تقوم فقعدت، وإذا أردت أن تقرأ فسبّحت، وإذا أردت أن تسبّح فقرأت، فعليك سجدتا السهو وليس في شيء مما يتم به الصلاة سهو»^(٢).

٣ - سجدة التلاوة: هي سجدة تسنّ عند تلاوة بعض آيات القرآن الكريم، أو سماعها، وهذه الآيات خمس عشرة، وهي:

١. {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (الأعراف/٢٠٦).

٢. {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ} (الرعد/١٥).

٣. {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} * {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (النحل/٤٩ - ٥٠).

٤. {وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} (الإسراء/١٠٩).

٥. {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا} (مريم/٥٨).

٦. {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (الحج/١٨).

٧. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الحج/٧٧).

٨. {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} (الفرقان/٦٠).

٩. {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} (النمل/٢٦).

١٠. {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} (السجدة/١٥).

١١. {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} (ص/٢٤).

١٢. {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ قَالَ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} (فصلت/٣٨).

١٣. {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا} (النجم/٦٢).

١٤. {وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} (الانشقاق/٢١).

١٥. {كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} (العلق/١٩).

علمًا بأنّ السجدة الثانية في سورة الحج، والسجدة الواردة في سورة ص، والنجم، والانشقاق، والعلق موضع خلاف بين العلماء.

وللدلالة على موضع السجدة يوضع شكل محراب في نهاية الآية، وتكتب كلمة "سجدة" على الحاشية. (الجرمي، ٢٠٠١، ١٦٥-١٦٦)

٤ - سجود الشكر

ومنها أنّ السجود من أسباب رحمة الله لعبده، وموضع استجابة الدعاء، ولا يشترط في أداء سجود الشكر شرط، فيصح كيفما أتى به الساجد الشاكر لربه، والأفضل أن يكون السجود على الأرض وعلى المواضع السبعة ووضع الجبهة على ما يصحّ السجود عليه، كما في سجود الصلاة، والصاق الساعدين والبطن بالأرض عكس ما يعمل في سجود الصلاة من استحباب التجافي عن الأرض، ويستحبّ وضع الجبهة على الأرض أولاً ومن ثمّ التعفير، والمراد به وضع الخدين على التراب ثم العودة إلى

السجود بوضع الجبهة على الأرض ثانيًا، وبه يتحقّق تعدّد سجود الشكر؛ لأنّ العودة إلى السجود بعد التعفير يعني تحقّق سجدة شكر أخرى وهي مستحبة اتفاقًا؛ ولأجل هذا يقال سجدتا الشكر (الربيعي، ١٤٢٠هـ، ٧٠).

وبعد هذا كلّه يتبيّن أنّ أمر الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله) بالسجود يتجلّى في المواضع الآتية:

أولاً/ قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْرًا بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (الحجر/٩٧-٩٩)، قال الآلوسي وفي أمره (صلى الله عليه وآله وسلم) بما ذكر إرشاد له إلى ما يكشف به الغمّ الذي يجده. كأنّه قيل افعل ذلك يكشف عنك ربك الغمّ والضيق الذي تجده في صدرك. (الآلوسي، ١٤١٥هـ، ٨٧/١٤) وجمهور المفسّرين على أنّ السجود هنا يقصد به الصلاة. وإنّما ذكر منها حالة القرب من الله تعالى وهي السجود؛ لأنّها أكمل حالات المصلّي بنيل الرحمة، وفي الحديث كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا حرّ به أمر صلى (أبو داود، د.ت، ٣٥/٢) وكان يقول: (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها). (أبو داود، د.ت، ٢٩٦/٤).

ثانيًا/ قوله تعالى: {فَإِنِ عَصَاكَ أَهْلَ عَشِيرَتِكَ فْتَبَرُوا مِنْهُمْ، وَلَمَّا كَانَ التَّبَرُّو يُوذُن بحدوث مجافاة وعداوة بينهم وبينه، ثبت الله تعالى جأشه بأن لا يعبأ بهم وأن يتوكّل عليه؛ لأنّه يراه في الصلاة وحده، ويراه في الجماعة مع الساجدين، حين يقوم معهم ويركع ويسجد، وهذا قول الأكثرين لأنّ ذلك هو الظاهر من معناه. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٣٠٤/١٩)، وقول الذي يراك حين تقوم مقصود به لازم معناه. وهو أنّه (صلى الله عليه وآله) بمحلّ العناية منه؛ لأنّه يعلم توجهه إليه والتقلّب في الساجدين هو صلاته في جماعات المسلمين. وهذا يجمع معنى عناية عزّ وجلّ بالمسلمين تبعًا للعناية برسولهم (صلى الله عليه وآله) (المصدر نفسه، ٣١٤/١٩)، وعبر عنهم بالساجدين؛ لأنّ السجود حالة مزيد قرب العبد من ربّه عزّ وجلّ، وهو أفضل الأركان على ما نصّ عليه جمع من الأئمة. (الآلوسي، ١٤١٥هـ، ١٣٧/١٩).

المبحث الثالث/ آثار السجود التربوية والنفسية:

المحور الأول/ الآثار التربوية للسجود:

تعدّ الصلاة بصفة عامّة وسيلةً وعلاجًا تربويًا ونفسيًا بوسائل عدّة، من بينها عمليّة التصوّر وتركيز الانتباه، إذ إنّ أعلى درجات العبادة هي الإحسان واستحضار الخشوع وعظمة موقف المثل بين يديّ الله عزّ وجلّ، وهذا التركيز الباطني يحدث انخفاضًا للتوتر، ممّا يؤديّ إلى راحة جسميّة ونفسيّة، فما بالك في الآثار التربويّة للسجود؟! إذ إنّ للسجود مزايا جمّة، وآثار محمودة ونافعة، ونتائج طيبة وناجعة، تعود بالخير على المؤمن الساجد لربّه في دنياه وأخراه، وهي على النحو الآتي:

١_ يعدّ السجود منهجًا سلوكيًا وهو أول حركة تعبدية في التاريخ الديني للبشريّة بوصفه علاجًا للنفس من الغرور والتكبر والخوف والقلق. ولعلّ من أهم آثار السجود النفسيّة أنّها تعدّ الحركة مفهومًا سلوكيًا معاصرًا أصله الثابت الحقيقي من أول حركة تعبدية في الوجود، وهي حركة السجود حينما سجدت الملائكة بأمر الله بعد خلق آدم، فسجد الملائكة تعظيمًا وتسبيحًا لقدرته. فالحركة من أول الخلق عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى. ثمّ افترض الله الصلاة بما فيها من حركات وسكنات مختلفة ومنتظمة الحركة وجعلها في الصلاة منهجًا سلوكيًا، يصل النفس بالنفس الإنسانيّة إلى راحتها واطمئنانها ويتألف مع تغيير الحركة في الصلاة تنظيم التنفّس بتلاوة القرآن وقرآته، ثمّ يكتمل المنهج بركن التصوير، وهو ما يتحقّق بالإحسان في العبادة، وهذا هو جوهر المنهج السلوكي. وهذه أركانه التي يعتمدها الطبيب النفسي قبل أن يبدأ بالمعالجة بالجلسات السلوكيّة النفسيّة (خليل، د.ت، ٣٩، ١٤٤).

وأفضل علاج للقلق هو العمل والحركة في السجود الذي يعدّ نوعًا من العمل، وهو تشغيل الفكر بأشياء أخرى غير التي تبعث القلق في النفس، فضلًا عن الاطمئنان إلى أنّ ما يصيب الإنسان في حياته ليس بيده بل بيد رب العالمين. (الزين، ١٩٩١، ٢٦٥/٢-٢٦٦)، والتوبة الخالصة والنصوح هي إحدى سبل النجاة من أمراض النفس ومن عقدة الذنب؛ لأنّها تخلص النفس من التوتر والقلق والشعور الدائم بالذنب (المصدر نفسه، ٢٢٥/٢).

٢_ السجود علاج للتكبر والتعالي: إنّ حركة السجود وحدها حركة عميقة المعنى، قويّة الدلالة، فالإنسان إذا خضع لربه وسجد لعظمته لا يمكن أن يتكبر على أحد من خلق الله، فهو في سجوده قد انخفض بأعلى ما فيه فوضع جبهته وأنفه على الأرض وحاز بهما قدميه، فهل بعد هذا الخضوع لعظمة المعبود يبقى في النفس مكان للتكبر أو التعاطم أو الأنفة؟ أو يكون بديلاً عن هذا كله التواضع والخشوع؟ فإذا تكرّر السجود في كلّ أوقات الصلاة وفي كلّ ليلة ونهار وفي حلّ الإنسان وترحاله، سيجعل هذا كله من سلوك الإنسان التعبدي يبتعد عن الغرور، وتتساوى فيه المراتب بين الفقراء والأقوياء، فالجميع أمام الله سواء، والعظمة لله وحده سبحانه وتعالى، والعزّة والجبروت له. فلا تبقى هناك مشاعر التعالي فكّلها تنسى في قبال عظمة الله سبحانه وتعالى (خليل، د.ت، ٢٩).

فالسجود علاج للكبر والتكبر والتكبر من أمراض القلب الخطيرة؛ لأنّه يهوي بصاحبه عن جادة الحقّ، والمتكبر من أتباع الشيطان الذي كان أول من تكبر برفضه السجود لآدم (عليه السلام)، فالعلاج الفعلي للتكبر هو التواضع لله سبحانه وتعالى وسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين (الغزالي، ١٩٥٧، ٣/٣٥٠-٣٥١)

٣_ السجود كذلك يمثل أعلى درجات الاستكانة والتواضع والخضوع لله سبحانه وتعالى، فقيامه وركوعه وسجوده، يهوي به إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة في الصلاة، فيمكن عزّ أعضائه وهو الوجه من أدلّ الأشياء وهو التراب، إن أمكنه لا يجعل بينهما حالاً فيسجد على الأرض فإنّه أجلب للخشوع والذلّة، وإذا وضع نفسه موضع الذلّ فاعلم أنّه وضعها موضعها، وردّ الفرع إلى أصله. فإنّه من التراب خلق منه وإليه يعود، ويؤكد التواضع بالتكرار فيه السجود الثاني فيعود إلى السجود الثاني، إنّ هذا يشعر الإنسان بضعفه وذلّته أمام الله عزّ وجلّ، فإذا بلغ العبد هذه المنزلة وتدبرها كان متحرّراً من الخضوع لا لشيء سوى الله. (الغزالي، ١٩٥٧، ١/١٧١) و(الصباغ، ١٩٩٩، ٩١)

المحور الثاني/ آثار السجود النفسية:

يقاسي الإنسان في هذه الدنيا العديد من المصائب والشدائد من شعور بالوحدة، والإحساس بالدونية في مواجهة استعلاء الباطل وأهله، وممارستهم صنوف الاضطهاد والتعذيب ضدّ الفرد المظلوم وغيرها من المصائب والشدائد، فقد يكون شعور الإنسان بالوحدة يجلب له الإحساس بالوحشة والخوف والضعف، فتلين عزمته وتخور قواه في مواجهة شدائد الحياة، وكذلك الشعور بضيق الصدر يكون من امتلائه غيظاً بما يكره الإنسان في السخط على المدعّوين سخطاً يدعو إلى ترك الإشفاق عليهم أو الضجر من الدعوة ضجراً يسوق إلى ترك المضي في سبيلها، وعليه يكون السجود لله تعالى نافعاً هذا الشعور وما يترتب عليه، إذ يكون الإنسان قريب إلى الله تعالى وفي ذلك القرب إيناس بالرعاية والعناية، فأنتى للشعور بالوحدة والخوف والوحشة أن يتسرّب إلى نفس إنسان يعيش في كنف ربّه وفي جواره وقربه، فما يكون أمامه إلا مواجهة كلّ ذلك عن طريق شخصيّة تتمتع بقوة نفسية هائلة يسهم السجود لله تعالى في تحقيقها، فسجود الملائكة لأدم (عليه السلام) يدلّ على أنّه وذريته قد وهبوا من الأسرار ما يستحقّون به هذا التكريم، فقد وهبهم الله تعالى سرّ المعرفة وسرّ الإرادة المستقلّة التي تختار الطريق، وهذا من شأنه أن ينفى الإحساس بالدونية من نفس المؤمن حينما يسجد لله مختاراً ومنطلقاً من معرفته له سبحانه، إذ يتذكّر في اللحظة نفسها أنّه تعالى قد جعل الملائكة يسجدون له سبحانه وهم الذين لا يعصون له أمراً ويسبّحونه وله يسجدون، ويتذكّر في الوقت نفسه رفض إبليس على هذا السجود استنكاراً لهذا التكريم، وضيق الصدر يكون من امتلائه غيظاً بما يكره الإنسان في السخط على المدعّوين سخطاً يدعو إلى ترك الإشفاق عليهم أو ترك المضي في سبيلها، وعليه يكون السجود وسيلة للعلاج النفسي من خلال آثاره النفسية (العاطفي، ٢٠٠٦، ٧٩) التي تتمثّل في الآتي:

- ١- نفي الشعور بالوحدة.
- ٢- علاج الإحساس بالدونية وبضبط العصبية.
- ٣- دفع نزعة الغرور والتكبر.
- ٤- إزالة ضيق الصدر.

٥- تقوية العزيمة للقيام بالأعباء الجسيمة.

٦- ترسيخ الاستهانة بالشدة والبلاء، فضلاً عن الجوانب الطيبة والصحية.

الخاتمة:

بعد انتهاء رحلتنا مع فلسفة السجود وآثاره التربوية والنفسية، نصل إلى آخر محطة في البحث، وهي مسك ختامه والنتائج التي تمخّض عنها، فنقول: إنّ هناك آثار وثمرات عدّة تترتّب على سجود المسلم لربه، منها:

- للسجود مكانة جليلة وفضل عظيم في الإسلام، فهو غاية التواضع والعبودية لله بوضع أعزّ أعضاء الإنسان في التراب.

- السجود في القرآن الكريم نوعان: سجود الكره وسجود الطوع.

- الإنسان يقاسي في هذه الدنيا أنواع الشدائد والمحن من بدء خليقته وإلى مماته، وللسجود من الخصال الحميدة التي تزيل عنه بعض الهموم إن لم تكن جميعها، والسجود سبب لنزول رحمة الله وإضاءة الوجه، ورفع الدرجات وزيادة الحسنات، وتكفير السيئات، بل هو يحقّق الشفاعة في الآخرة، وقد يكون سبباً لدخول المسلم إلى الجنّة التي وعد الله بها عباده الصالحين.

- والسجود يجعل الإنسان متواضعاً، فحينما يسجد بتشارك أعضائه مع بعضها من جبهة ويدين وركبتين وقدمين، ذلك يذكره أنّه بكليته لله تعالى ويجب أن يكون خاضعاً لأوامره ولا يستعمل أعضائه تلك إلا في الطاعات، وأخيراً يبقى السجود موضعاً مهماً لاستجابة الدعاء.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم

❖ الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني

في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبدالباري عطية، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

- ❖ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، تحرير التنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ❖ ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ❖ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ت.
- ❖ خليل، محمد يوسف، الصلاة وأسرارها النفسية بالمفاهيم السلوكية المعاصرة، سلسلة ثقافتك الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، د.ت.
- ❖ الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، سلوة الحزين و تحفة العليل الشهير بالدعوات، تحقيق: الشيخ عبد الحلیم عوض الحلبي، مؤسسة العلامة المجلسي، ١٤٢٧هـ.
- ❖ الربيعي، الشيخ داود سلمان، السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، إصدارات مركز الرسالة، ١٤٢٠هـ.
- ❖ الزين، سميح عاطف، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، مصر، ط ١، ١٩٩١م.
- ❖ الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (حدود ٣٠٦ هـ - ٣٨١ هـ)، الخصال، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ٢٠١٦م.
- ❖ الشيخ الصدوق، علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار المرتضى، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م.
- ❖ الصبّاغ، محمد بن لطفی، الخشوع في الصلاة، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ودار الوراق، السعودية، ط ٣، ١٩٩٩م.

فلسفة السجود وآثاره التربوية والنفسية

- ❖ العاملي، الحرّ (ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة (آل البيت)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤هـ.
- ❖ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي أحمد طبانة، مطبعة كرياضة فوترا، أندونيسيا، ١٩٥٧م.
- ❖ الكليني، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ١٣٦٣ ش.
- ❖ مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.
- ❖ النوري، حسين النوري المعروف بـ «المحدّث النوري» من علماء الشيعة (١٢٤٥ هـ - ١٣٢٠ هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل المعروف بمستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

المجلات والحوث:

- ❖ العاطي، محمد عبد اللطيف رجب، السجود وآثاره النفسية _ دراسة قرآنية _ مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد ٣، العدد ٢، ٢٠٠٦م.

المواقع الإلكترونية

- ❖ الحائري، حيدر، فلسفة السجود لله تعالى، مقال من النت:

<http://alhasanain.org/arabic/?com=content&id=649>